Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

حوار بين

فتياننا الأبطال

وأم النور

3

رئيس الملائكة
يبشر بالحبل بيوحنا المعمدان

اعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي

رئيس الملائكة يبشر بالحبل بيوحنا المعمدان

اعتاد بعض الفتيان أن يجتمعوا معًا ويقرأون فصلاً من الكتاب المقدس. قرأ الفتى لوقا الاصحاح الأول من إنجيل معلمنا لوقا البشير. بعد قراءته طرح الفتى أنطوني السؤال التالي: لماذا بشّر رئيس الملائكة جبرائيل العذراء الصغيرة القديسة مريم، قائلاً: "هوذا اليصابات نسيبتك هي أيضًا حبلى بابنٍ في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوّة عاقرًا، لأنه ليس شيء غير ممكنٍ لدى اللّه" (لو ١: ٣٦-٣٧)؟

في وسط الحوار بين هؤلاء الفتيان إذا بنور أشرق عليهم، وظهرت لهم أم النور، وسألتهم: "فيم أنتم تتناقشون؟ اجاب أنطوني: لدينا يا أمي أسئلة كثيرة بخصوص بشارة رئيس الملائكة جبرائيل لكِ بحبل القديسة اليصابات منذ ستة شهور من ظهوره لك. ظهوركِ لنا الآن يفرح قلوبنا، وإجابتك على أسئلتنا تُبهج نفوسنا.

قالت القديسة أم النور: إني أُسر بأسئلتكم يا أبنائي الأحباء.

سألها أنطوني: كيف دعا رئيس الملائكة اليصابات نسيبتك، وهي حتمًا من سبط لاوي لأنها زوجة زكريا الكاهن الذي من سبط لاوي ولا يجوز له ككاهنٍ أن يتزوج من سبطٍ آخر، بينما قداستكِ ابنة داود من سبط يهوذا وخطيبكِ يوسف أيضًا ابن داود من سبط يهوذا؟

أجابت القديسة مريم: حقًا أليصابات من سبط لاوي وأنا من سبط يهوذا. لقد دعاها نسيبتي ليس لأنها تمّت لي بصلة قرابة جسدية، وإنما يقصد بكلمة "نسيبتك" أنها من جنس البشر مثلك، فأنا كرئيس ملائكة فرحت منذ ستة شهور، إذ سمعت أن العاقر أليصابات حبلت بإنسانٍ عظيم قال عنه ملاخي النبي على لسان الرب: "هأنذا أرسل ملاكي، فيهيّئ الطريق أمامي" (ملا ٣: ١).

لقد فرح النبي ملاخي بهذا الخبر المفرح بخصوص الملاك الذي يهيّئ الطريق للمسيا كلمة اللّه المتجسد، ونحن السمائيون أيضًا فرحنا بهذا الخبر. فكم وكم أنتِ من جنس البشر تفرحين لأليصابات العاقر أنها حبلت بمن دعاه الرب "ملاكي". نحن السمائيون نفرح معكم عند سماعنا كل خبرٍ سارٍ ومبهجٍ

لكم، وأنتم تفرحون حينما يتمتع أحدكم بعملٍ إلهي عظيم.

أنا أعلم أنكِ تفرحين لأليصابات التي أدعوها نسيبتكِ، وهي تفرح حينما تلتقي بها وتقول لك: "من أين لي أن تأتي أم ربي إليّ؟!" (لو ١: ٤٣)

اللّه الذي خلق جميع السمائيين وأنتم البشر، يُسرّ أن نحب بعضنا البعض وأن نفرح مع الفرحين.

بعد دقائق تقدم الفتى بافلي ليسأل أم النور بخصوص هذه البشارة بحبل اليصابات. قال لها: العجيب أن رئيس الملائكة أخبرك بهذه البشارة بعد أن بشّركِ بتجسد كلمة اللّه فيكِ، ولم ينتظر قولكِ: "هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك" (لو ١: ٣٨). هل قدّم لكِ هذه البشارة لتتأكدي أن اللّه هو إله المستحيلات، وليس شيء مستحيلاً عليه؟ فما فعله مع العاقر يفعله مع البتول مع الفارق بين البشارتين؟!

أجابت أم النور: "حتمًا أدرك رئيس الملائكة أنني أؤمن بأن اللّه إله المستحيلات، وفي سؤالي له: كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً، أدرك أنني لست متشككة في قدرة اللّه، إنما كنت أطلب الإجابة على هذا السؤال لكي تعرف كل الأجيال القادمة أن المولود مني ليس من زرع بشر، وأنني كبتولٍ مُكرسة للعبادة ولخدمة الرب يلزمني أن أسأل حتى يعرف كل إخوتي ما وراء سرّ تجسد كلمة اللّه".

سأل أيضًا الفتى لوقا: ما هي مشاعرك يا أمي وأنتِ في حوارٍ ممتعٍ مع رئيس الكهنة؟

أجابت أم النور: أقول لك يا ابني العزيز لوقا، لقد عشت حوالي تسع سنوات في الهيكل منذ كنت في الثالثة من عمري حتى بلغت الثانية عشر. حقًا التقيت مع العاملين في الهيكل من كهنة ولاويين وخدام وأيضًا مُكرسين ومكرسات صغيرات في السن، ولكنني أنا مدينة لوالديّ يواقيم وحنة. فمنذ طفولتي تدربت على أياديهما أن السماء قريبة جدًا مني أكثر من قربهما لي. لهذا في الهيكل كنت أشعر كأن عرش اللّه السماوي أقرب إليّ من العاملين في الهيكل.

ظهور رئيس الملائكة لي كان في الحقيقة امتدادًا طبيعيًا لتعاملي مع السمائيين.

بل كنت أشعر أن رب السمائيين أقرب إليّ من كل الذين كانوا حولي بالجسد.

كنت أشعر مع صغر سنّي لا احتاج لمن يشرح لي ما كان يقوله لي رئيس الملائكة جبرائيل، إذ كنت أتلامس مع نعمة اللّٰه العاملة فيّ.

إني أفرح بصداقتكم أيها الفتيان الصغار مع بعضكم البعض. إذ كنت وأنا في نفس عمركم أتعامل مع السمائيين كأصدقاء، أفهم لغتهم ويفهمون هم لغتي. هم لا يتكلمون بلغاتنا البشرية، لكن ملامحهم وسلوكهم تكشف عمًا في داخلهم نحوي أنا الفتاة الصغيرة.

كنت أشعر أني أسعد شخص على وجه الأرض، لم يشغلني شيء مما هو حولي. أشعر أنني أتكئ على صدر اللّٰه، وهو يضمني إلى أحضانه. مع كل صباح أشعر أنه بداية أسعد يوم في حياتي. حقًا كنت أصلي لوالديّ، بل ولكل البشرية، الذين كنت أعرفهم والذين لم أكن أعرفهم.

لم أذكر قط أنني كنت مضطربة لسبب أو آخر، ولا أخشى من مرضٍ معين أو من الظلمة أو من إنسانٍ عنيف. لم أكن أنشغل بيوم خروجي من العالم، لأني أحسب كل أيام حياتي على الأرض أشبه بلحظةٍ أو لحظاتٍ تنتهي وأعبر إلى المسكن الأبدي.

إذ توقفت القديسة مريم أم النور عن الكلام، سألتها الفتاة ماكرينا: لماذا انطلقتِ يا أمي المحبوبة وكنتِ مسرعة على جبال يهوذا؟ هل أخبرتي القديس يوسف بما جرى من حوار بينك وبين رئيس الملائكة جبرائيل قبل انطلاقك على جبال يهوذا؟

أجابت القديسة مريم: وقعت القرعة على القديس يوسف لكي أكون تحت رعايته، لأنه لم يكن يُسمح لفتاة أن تبقى في الهيكل بعد أن تبلغ الثانية عشر من عمرها.

بالحقيقة كان أشبه بوالدي، لأني أحبه كأبٍ وقورٍ، يسلك بروح القداسة. وكان حكيمًا في تصرفاته، كلماته قليلة للغاية، يثق فيّ، ويهتم بكل احتياجاتي. كان محبًا للعبادة بالروح، زاهدًا في كل شيءٍ.

لم أخبره بما أخبرني به رئيس الملائكة. أدركت أن موضوع حملي بكلمة اللّٰه

الذي يتجسد فيّ حتمًا سيخبره به الله بطريقٍ أو آخر.

أخبرته أنني سأزور زكريا الكاهن وزوجته اليصابات. أما هو فلم يسألني عن ما وراء هذه الزيارة.

عادت ماكرينا تسألها: "هل فكرتِ في تقديم هدية للكاهن وزوجته وللجنين الذي في بطنها؟

أجابت أم النور: أخذت للثلاثة أروع هدية ينتفعون بها.

ماكرينا: وما هي هذه الهدية؟

أم النور: هدية ثمينة للغاية وهي لقاؤهم مع الجنين الذي في بطني. قام هذا الجنين بدور رائع في حياة الأسرة كلها.

١ حينما دخلت بيت اليصابات، أدركت بتجسد الكلمة الإلهي، لذلك قيل: "فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت اليصابات من الروح القدس..." (لو ١: ٤١).

التقى الجنين يوحنا المعمدان مع الجنين الذي في بطني فارتكض بابتهاج (لو ١: ٤٤). لقد تشبه بالملك داود الذي رقص متهلِّلاً أمام تابوت العهد الذي كان يشير إلى الحضرة الإلهية (٢ صم ٦: ١٦).

٢ ارتكض يوحنا في بطن أمه الجنين العاجز عن الكلام، وهو نوع من التسبيح لله.

٣ صار بيت زكريا وأليصابات سماء ثانية، سبّح الكل للكلمة المتجسد، كل واحد بأسلوبه. فالجنين يوحنا رقص مبتهجًا. واليصابات صرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنتِ في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ (لو ١: ٤٣). وتهللت نفس الكاهن زكريّا الذي كان عاجزًا عن الكلام إلى يوم ميلاد يوحنا ابنه. وشاركت أنا في التسبيح وقلت:

"تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني، لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس. ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتّقونه.

صنع قوة بذراعه. شتّت المستكبرين بفكر قلوبهم، أنزل الأعزاء عن الكراسي

ورفع المتّضعين.
أشبع الجياع خيرات وصرف أغنياء فارغين.
عضّد إسرائيل فتاه ليذكر رحمه، كما كلّم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد" (لو ١: ٤٦-٥٥).

القمص تادرس يعقوب ملطي